الفصل الثانى

عوامل التربية

مقدمة:

يتعرض الفرد لعوامل عديدة طبيعية واجتماعية منذ ولادته حتى وفاته تؤثر فى تحديد نوعية ودرجة وكم تربيته وهى عوامل تتطلب دراستها تفصيلا كتابة مؤلفات كثيرة وضخمة وهو أمر لا مجال له هنا فى هذه الدراسة المبسطة والوجيزة، ولذا سنقتصر على دراسة بعض جوانب هذه العوامل متمثلة فى الموضوعات التالية:

١ ـ التربية المقصودة والتربية غير المقصودة.

٢ ـ المنزل وأثره فى تربية وتنشئة الفرد.

٣ ـ المدرسة: وظائفها التربوية وعلاقتها بالمجتمع.

٤ ـ التعاون: بين المنزل والمدرسة.

٥ ـ وظائف المسجد.

أولا: التربية المقصودة وغير المقصودة

يمكن تقسيم التربية لنوعين رئيسيين هما:

أ ـ التربية غير المقصودة وهى نوع يقصد به تلك التربية التى يتلقاها الفتى أو الفتاة من الأب أو الأم حيث يتعلم الفتى من والده التراث الاجتماعى بما يتضمنه من خبرات ومعلومات ومعارف ومهارات تدريجيا وفقا لدرجة نموه جسميا وعقليا وانفعاليا واجتماعيا حتى يستطيع مواجهة المطالب والمواقف المختلفة للحياة اليومية وهو بصدد إشباع حاجاته ورغباته مستقبلا فى إطار مجتمعه البيئى أى إعداده للحياة المهنية وحيث تتلقى الفتاة من أمها الخبرات والمعارف والمهارات اللازمة لإعدادها لحياة المستقبل فى منزل الزوجية أى إعدادها للقيام بدورها الاجتماعى كزوجة وأم، كما تتضمن هذه التربية العوامل المؤثرة اللا إرادية على النشء سواء كانت طبيعية كالقوى

الطبيعية المختلفة من وراثة وبيئة جغرافية.. إلخ.. أم اجتماعية كالحضارة والمعتقدات الدينية والمؤسسات والهيئات والجماعات الاجتماعية، ويرى البعض أن هذه التربية تقتصر على العوامل اللإرادية فقط.

ب ـ التربية المقصودة: وهى نوع يقصد به تلك التربية التى يتلقاها الفتى أو الفتاة فى مؤسسة اجتماعية متخصصة هى المدرسة بعدما تخلى الأبوان عن مهمة التربية التعليم بدرجة كبيرة كنتيجة لزيادة التراكم الثقافى (الخبرات والمعرفة الإنسانية) وتعقد الحياة اليومية بدرجة أوجبت التخصص فى مجال العمل.. إلخ من عوامل أدت لفصل مهمة تربية النشء عن مهمة الأبوين، وجعلها من مهام المدرسة ابتداء من سن الإلزام (سن السادسة) فقامت المدارس لكى تنقل إلى التلاميذ المناسب من الخبرة الإنسانية.. بعد تنظيمها وتبسيطها، ولكى تنمى فيهم من العادات والاتجاهات والميول ما يعدهم لحياة دائمة التغير فهو نوع معد ومخطط له مسبقا لنقل التراث الثقافى للنشء لإعدادهم للحياة المستقبلة، ويرى بعض الباحثين أن هذه التربية تقوم بها الأسر والمدرسة معا.

ويلاحظ أن كلا النوعين كل منهما يكمل دور الآخر فى تربية النشء بدرجة لا يمكن فصلهما عن بعضهما فلا غنى لأحداهما، ولكن أحيانا يعوق أحدهما كليا أو جزئيا عمل الآخر وعندئذ يجب معالجة نواحى التعارض هذه بما يتناسب ومع نوعيةكل ناحية ليتسنى لكلا النوعين القيام معا بدورهما الكامل المنشود.

كما يجب ملاحظة أنه يمكن تقسيم عوامل التربية لنوعين هما:

أ ـ العوامل المتخصصة وتشمل: ١ ـ المنزل ٢ ـ المدرسة

ب ـ العوامل غير المتخصصة: وتشمل المجتمع وما فيه من مؤسسات ومنظمات ووسائل إعلام وهى:

١ ـ المؤسسات الثقافية: «المكتبات العامة ـ المتاحف ـ المعارض».

٢ ـ المؤسسات الدينية: «المساجد ـ الكنائس ـ المعابد».

٣ ـ المؤسسات الترفيهية: «السينما ـ المسرح ـ الإذاعة ـ التليفزيون».

٤ ـ المؤسسات الاجتماعية: «الأندية ـ الساحات الشعبية ـ مراكز رعاية الشباب».

ثانيا: المنزل وأثره فى تربية وتنشئة الفرد

يعتبر المنزل من أهم وسائل التربية التى تؤثر فى تربية النشء وهو يمتاز على غيره من وسائل التربية الأخرى بأن التربية أهم أغراضه ووظائفه ففيه ينال الفرد أول قسط من التربية ويبقى أثرها حتى بعد أن يلتحق بالمدرسة، ولهذا كانت السنوات الأولى من حياة الفرد التى يقضيها فى المنزل بين أفراد أسرته ذات أثر بالغ قوى ودائم لحد ما فى تكوين شخصيته بما تتضمنه من اتجاهات وعادات ومفاهيم وأساليب سلوكية، ومن ثم كان ومازال المنزل يعتبر من أهم العوامل المتخصصة بالنسبة للتربية غير المقصودة فالفرد منذ أن يعى الأمور فى المنزل يحاكى ويقلد أبويه وأخوته والجيران والمعارف تأثرا بهم، ولذا نجد أن نوعية التربية التى يتلقاها الفرد فى المنزل هى التى ستحدد بدرجة كبيرة ما إذا كان هذا الفرد سيصبح مواطنا صالحا أم إنسانا فاشلا، ونجد أن المنزل يستمد أهميته التربوية والتى من أهمها ما يلى:

١ ـ تنمية الفرد جسميا وصحيا: نتيجة لما يوفره له من مأكل ومشرب وملبس وسكن ورعاية صحية فالمنزل الذى يعتنى برعاية أفراده ورعايتهم والعناية بهم وتوفير كل أسباب الحياة الصحية السليمة لهم لابد أن ينشأ أفراده وهم أقدر على مواجهة الحياة واكتساب خبراتها المختلفة فى شتى الميادين.

٢ ـ تنمية الفرد لغويا: نجد ان الفرد فى المنزل يتعلم منذ صغره اللغة والتعبير وطريقة الكلام، ولكل أسرة عاداتها الكلامية ومفردات لغوية خاصة بها، وكلما كانت هذه العادات والمفردات اللغوية المستعملة رقيقة مهذبة تتميز بالوضوح والدقة أدى ذلك بالتالى إلى أن يكون الطفل أقدر على التعبير الصحيح المهذب وإلى البعد عن الألفاظ النابية.

٣ ـ تنمية عادات الفرد وأخلاقه وطباعه: فالفرد يستقى من الأسرة عاداته وأخلاقه وطباعه

وذلك تبعا لما يسودها من مستويات اقتصادية واجتماعية وهو يقلد عادة الكبار من أفراد أسرته ويتقمص شخصياتهم يتخذها كنموذج فيقلدها.

٤ ـ تنمية الفرد خلقيا : نجد أن الفرد يتعلم فى الأسرة معانى العطف والتعاون والتضحية والإيثار واحترام الآخرين وما هو خير وما هو شر «الحسن والقبيح فيعمل الأول ويتجنب الثانى».

٥ ـ تنمية الفرد انفعاليا : فالفرد الذى ينشأ فى منزل تسوده أواصر المحبة والاحترام ويخيم عليه السعادة لاشك فى أنه سيشعر بالأمن والاطمئنان، وينشأ خاليا من المشاكل النفسية والعاطفية.

٦ ـ تنمية الفرد دينياً : وذلك بتعويد الفرد منذ صغره على المواظبة على أداء شعائر الدين بحماس وإخلاص مما يرتب تنمية ضميره وتنمية إحساسه بعظمة وحب الله سبحانه وتعالى فيسمو خلقيا وربما يصبح عبدا ربانيا.

ثالثا: المدرسة وظائفها التربوية وعلاقاتها بالمجتمع

يمكن تلخيص أهم وظائف المدرسة فيما يلى:

١ ـ التدعيم: نجد أن المؤسسات المختلفة الثقافية والدينية والترفيهية والاجتماعية بصفة عامة والأسرة بصفة خاصة تقوم بأنواع عديدة من الأنشطة التربوية وهى أنشطة يجب على المدرسة أن تتعرف على طبيعتها ومداها حتى تنسق برامجها على ضوء معرفتها هذه فتقوم بتثبيت تدعيم ما هو مرغوب اجتماعيا وتربويا من هذه الأنشطة وتغيير ما هو مرغوب فيه اجتماعيا وتربويا.

٢ ـ استكمال عملية التربية : يجب على المدرسة دراسة أنواع الخبرات التربوية التى تقدمها الأسرة والمؤسسات المختلفة دراسة مقارنة بأنواع الخبرات الواجب توفيرها وذلك تمهيدا لأن تقوم المدرسة باستكمال الخبرات التربوية الناقصة ليتسنى للنشء مواجهة كل تحديات العالم المتغير المعاصر.

٣ ـ التصويت والعلاج: نجد أن تأثير الأسرة والمؤسسات المختلفة ليست كلها تأثيرات صالحة تربويا بعضها ضارتربويا وغير اجتماعى ولا يؤدى إلى اكتساب مهارات شخصية مفيدة للنشء

وللمجتمع معا فالإهمال من جانب الوالدين فى المنزل مثلا يؤدى إلى نقص الآداب الاجتماعية التربوية عند النشء، كما أن بعض الآباء مثلا قد يرسلون أبناءهم إلى المدرسة فى مظهر غير نظيف بل يرسلونهم وهم مصابون بأمراض معدية تؤدى إلى الإضرار بالصحة للآخرين. أو قد تؤدى، وسائل الإعلام إلى نشر الانحرافات بين النشء بما تقدمه من موضوعات هابطة لا أخلاقية ولذا بدأت المدرسة الآن تدرك واجبها نحو ما أهمل تربيته وذلك بأن تقوم بتصحيح وعلاج أنماط السلوك غير الاجتماعى التى استقرت وثبتت لدى بعض تلاميذها.

٤ ـ الوقاية: وهى أهم وظائف المدرسة إذا هى أهم بكثير من تصويب وعلاج الأخطاء السلوكية الناشئة عن تسيب وإهمال الأسرة والمؤسسات المختلفة، ويقصد بالوقاية هنا منع السلوك الضار من الإتيان به مسبقا إذ أنه من السهل جدا تكون عادات التفكير الصائب والعمل السليم والسلوك الصحيح فى الفترة الأولى من عملية التربية.

٥ ـ التكامل: يتفق رجال التربية الحديثة على أنه لابد من وجود وحدة فى الأثر التربوى فى كل مصادر الخبرات التربوية ونظرا لضرورة تحقيق هذه الوحدة يجب إيجاد طريقة للتنسيق بين العمل التربوى للمدرسة وبين الأعمال التربوية للأسرة والمؤسسات المختلفة لتقديم الخبرات التربوية المناسبة للنشء إن الآباء لديهم ما يشغلهم معظم أو طول الوقت ولهذا فالمدرسة هى المؤسسة الوحيدة التى تمس أنشطتها حياة كل جماعة فى البيئة حياة الأسرة فى المنزل، بطريقة حيوية تؤثر وتتأثر فيها وواجب المدرسة يحتم عليها أن تقوم بهذا التكامل وذلك بأن تحاول الربط بين الأهداف التربوية السليمة لها وللأسرة ولكل المؤسسات المختلفة لتسير كلها فى درب تحقيق الهدف الأشمل العام ألاوهو تربية النشء تربية صحيحة وسليمة.

٦ ـ نقل التراث الاجتماعى وتحسينه: وهى وظيفة تقوم بها المدرسة سواء وجدت فى مجتمع بدائى أم مجتمع متقدم، وذلك بقيامها بالمحافظة على عادات المجتمع وتقاليده وثقافته وفنونه وآدابه وعلومه المفيد منها وإسقاط الضار والبالى منها أو محاربته والقضاء عليه فمثلا لاشك فى أننا مدينون للماضى بأعمال عظيمة تلقيناها عنه والتى تخصب خيالنا وأبسطها وأظهرها اللغة والأعداد والرموز.. إلخ ولكن ليس كل ما يأتينا من الماضى له قيمة تربوية فى الحاضر ولذا

تهتم المدرسة بحفظ ونقل التراث الاجتماعى الماضى بقدر ما يؤدى إلى حل مشكلات الحاضر والمستقبل داخل إطار التنظيم الاجتماعى الحاضر.

٧ ـ نشر المبادئ الديمقراطية: نجد أن المدرسة فى المجتمعات الديمقراطية الحقة تحافظ على المثل العليا والعريقة للمجتمع ومبادئه وذلك بغرسها فى نفوس النشء عن طريق التطبيق العملى الفعلى داخل أسوارها بإتاحة الفرصة مثلا لتلاميذها للمشاركة فى حفظ النظام وإدارة المدرسة وتخطيط وتنفيذ الأنشطة المدرسية المختلفة والنقد الذاتى البناء الحر أو الموجه.. إلخ.

٨ ـ الخلق والابتكار: نجد أن بعض المؤسسات ذات اتجاه محافظ ولا ترتضى التغيير وتصطبغ اتجاهاتها بصبغة جامدة أنها تقدس الماضى، وتنسب إليه كل فضيلة وتنسب كل رذيلة لما هو جديد متغير.. بينما توجد مؤسسات أخرى تجرى وراء كل جديد وتأخذ بأسبابه سواء لاءم المجتمع أم لا دون التفكير فى النتائج من حيث نفعها أو ضرها للمجتمع، وبالتالى يحدث صراع وتضارب بين كلتا المجموعتين والمدرسة هى المسئولة عن إعادة صياغة ما يصيبه العطب من الأفكار والمعانى والتقاليد والعادات بلا تفريط فيما هو نافع ومفيد من التراث الاجتماعى وتعليم تلاميذها كيف يتوصلون إلى طرق أكثر فعالية لتحقيق الأهداف وحل المشكلات الجديدة المتغيرة فتنمى فيهم روح الخلق والابتكار بجانب أنه يجب على المدرسة أن تتحمل مسئولياتها كاملة نحو مساعدة المجتمع على الوعى بالتغيرات التى تحدث فى المجتمع.

رابعا: التعاون بين المدرسة والمنزل

لاشك أن تربية النشء شركة يتقاسمها الآباء والمعلمون، كما أنهاتخضع لمؤثرات ثقافية كثيرة يتعرض لها النشء فى المجتمع، فتربية النشء تتأثر بالخبرات الصالحة والضارة التى يتعرض لها خارج المدرسة، بنفس درجة تأثره بالخبرات التربوية التى يتعرض لها داخل المدرسة وقد يكمل أحد هذين النوعين من الخبرات، النوع الآخر أو يدعمه «يثبته» كما أنه قد يتعارض معه ويفسده.

فقد تعمل المدرسة جاهدة على تكوين عادات سلوكية صحية سليمة عند النشء أو تعويده

على آداب معينة للسلوك ثم لا يلبث المنزل أو وسائل الإعلام أن يهدم كل ما تبنيه المدرسة فى هذا المضمار، وقد يحاول المنزل أن يخلق روح الثقة بالنفس عند النشء بينما تعمل المدرسة على إفقاده هذه الثقة بسوء تصرفها معه فى الحالات التى يفشل فيها.

ومنذ وقت طويل أدرك المربون أهمية تبادل المعلومات بين الآباء والمعلمين فيما يتعلق بتربية النشء حتى لا تتعارض أهدافهم أو تتشتت جهودهم ومازالت صورة المعلم القديم ماثلة فى أذهان بعضنا وهو الذى كان يعرف كل تلميذ من تلاميذه معرفة شخصية ويلم بكثير من أحوال معيشته ويقف على ما يطرأ على بيئته المنزلية من تغيير فكيف أسلوبه فى تربية تلاميذه، إذ كان يترك أعمق الأثر فى حياتهم، وهناك من الأدلة العملية ما يكفى لإثبات أن المعلم يكون أكثر نجاحا فى تربية تلاميذه إذا كان على علم بخبراتهم خارج المدرسة، كما أن إلمام الآباء بخصائص النمو عند النشء يعينهم على تربية أبنائهم.

وقد أدرك المربون المحدثون أنه لا يكفى أن يقف المعلم على المعلومات التى يدلى بها الآباء عن أبنائهم، كما أنه لا يكتفى أن يعرف الآباء كيف يقيمون بيئة منزلية صالحة لأولادهم بل تحتاج تربية الأبناء بجانب ذلك إلى إيجاد تعاون وثيق بين الآباء والمعلمين للعمل على حل المشكلات التى تهم الطرفين والاشتراك فى رسم الخطط التى تساعد التلاميذ على التغلب على ما يواجههم من صعوبات، وقد أثبتت التجارب العلمية الحديثة أن زيادة التفاهم والتعاون بين الآباء والمعلمين يكسب المدرسة ثقة بأحكامها وأساليبها التربوية ويعين الآباء على إدراك ما تصادفه المدرسة من صعوبات.

وتوجد وسائل عديدة لإيجاد هذا التعاون الوثيق بين المدرسة والآباء منهاما يلى: .

١ ـ تخصيص المدرسة يوما للآباء من حين لآخر لزيارتها والتعرف على ما تقوم به من نواحى النشاطات المختلفة.

٢ـ تنظيم المدرسة بعض الزيارات لمنازل التلاميذ: خاصة أصحاب المشكلات منهم للتعرف على أحوالهم وظروفهم.

٣ ـ مجالس الآباء وهى تمثل رابطة تربط الآباء بالمعلمين وتهدف إلى إيجاد نوع من التعاون بين كل بما يحقق تأدية المدرسة لرسالتها التربوية لتربية الأبناء على أكمل وجه .

٤ ـ تقارير المدرسة إلى الآباء : وهى تعد أهم وسائل الاتصال بين المدرسة والمنزل والتقرير يشمل عادة درجة التحصيل الدراسى للتلميذ ومدى مواظبته وسلوكياته الأخلاقية وهى تساعد كلا من الأب والتلميذ على تكوين فكرة سليمة صادقة عن مدى نجاح التلميذ أو فشله ومدى تقدمه أو تأخره فى التحصيل الدراسى، كما أنها قد تؤثر فى نظرة الأب إلى المدرسة فتعطيه انطباعا حسنا عنها بإظهار اهتمامها بمتابعة التقدم الدراسى لأبنائها .

٥ ـ استدعاء الآباء إلى المدرسة : وذلك فى حالات التلاميذ ذوى المشكلات الحادة وذلك للتشاور معهم للتعرف على أسباب هذه المشكلات ومسبباتها ومحاولة إيجاد حلول تربوية ناجحة لها .

٦ ـ متابعة الآباء لأبنائهم فى المنزل : وفى أثناء قيامهم بأداء واجباتهم المدرسية المنزلية ومعاونتهم وتشجيعهم على أدائها وعقابهم إذا قصروا فى أدائها .

خامسا: وظائف المسجد

بعد استقرار النبى ﷺ فى المدينة شرع فى تنظيم شئون أهلها وفقا لأحكام القرآن الكريم وتعاليم الإسلام فأنشأ أول مسجد فى الإسلام الذى اختلف العلماء فى تحديده فقيل إنه مسجد قباء وقيل إنه مسجد المربد .

١ ـ دار للعبادة بأداء الصلوات .

٢ ـ دار للشورى، فكان المسلمون يجتمعون فيه للنظر فى شئونهم العامة .

٣ ـ مركز ثقافى : (معهد للتعليم) حيث قامت حلقات الدراسة فيه فكان النبى يجلس فى مسجده يعلم المسلمين أحكام الشريعة الإسلامية .

٤ ـ دار للقضاء .

٥ ـ ساحة لتجمع الجيوش.

٦ ـ منزل لاستقبال السفراء: كان النبى ﷺ يتخذ من منزله بمكة والمدينة مكانا لتعليم الدين واستقبال وفود من يريدون إعلان إسلامهم حتى نزلت الآية بالنهى عن الالتجاء إلى بيته، وإطالة المكوث لأن الوفود لم تكن تنقطع فكان النبى ﷺ لا يجد راحته فأصبح ذلك لا يتم إلا فى المسجد.

لذلك نجد أن تاريخ التربية الإسلامية يرتبط ارتباطا وثيقا بالمسجد باعتباره المكان الرئيسى لنشر الثقافة الإسلامية، وقد قامت حلقات الدراسة فيه منذ أن نشأ واستمرت على مر السنين والقرون وفى مختلف البلاد الإسلامية بلا انقطاع وقد سمى المسجد باسم بيت الله إشارة إلى الداخل فيه بعكس الداخل فى المنازل الخاصة ولا يحتاج إلى استئذان أو استئناس ومن أهم الأسباب التى جعلت المسجد مركزا ثقافيا ما يلى:

١ ـ اقتصار الدراسات فيه فى سنى الإسلام الأولى على الدراسات الدينية ذات الصلة الوثيقة به من شرح تعاليم الدين الجديد وأسسه وأهدافه وأحكامه.

٢ ـ توسع المسلمين فى عصورهم الأولى فى فهم مهمة المسجد فشملت الشئون الدينية والدنيوية معا.

٣ ـ إحساس المسلمين بأن البيوت الخاصة تضيق باجتماعاتهم ولا تمنحهم حرية العبادة جماعة واللقاء كما يرغبون ولذلك لم يعد المسلمون المنازل عدا بعض منازل العلماء منها مكانا صالحا للتعليم العام إذ أن السكان والطلاب جميعا لا يجدون الراحة واليسر فى التوفيق بين هدوء المنزل وجلاله وبين حلقة الدرس وما تستدعيه من حركة ونشاط.

٤ ـ إن الجامع موضع لاجتماع كل الطبقات بينما المنزل محجور على الناس إلا من أبيح له من الخاصة.

وبمرور الزمن ونتيجة للفتوحات الإسلامية كثرت المساجد وزاد انتشارها وأصبح المتبع بناء مسجد أو أكثر بكل مكان يفتحه المسلمون أو فى كل قرية أو مدينة يقومون بتأسيسها.

وقد روى عن عمر مثلا أنه لما فتحت بعض بلدان العراق كتب لأبى موسى الأشعرى الذى عينه عاملا أى واليا على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فإذا كان يوم الجمعة انضموا لمسجد الجماعة وكتب بذلك أيضا لسعد بن أبى وقاص. وهو على الكوفة ولعمرو بن العاص وهو على مصر كما اهتم الخلفاء الأمويون والعباسيون والخاصة والعامة من الناس بإنشاء المساجد فى كل مكان من الدولة العربية الإسلامية خاصة فى بغداد عاصمة الدولة العباسية حتى إن اليعقوبى ذكر أنه عد فى بغداد ثلاثين ألف مسجد.

وقد ترتب على قيام الدولة الأموية على نظام الحكم الملكى الوراثى بصفة عامة أن المسجد فقد مكانته ووظيفته كدار للشورى، وكمنزل لاستقبال السفراء وكساحة لتجميع الجيوش وكذا كدار للقضاء.

كما ترتب على اتساع الدولة العربية الإسلامية أنها قسمت لعدة ولايات عين وال (حاكم) لكل منها وكان الوالى بمثابة نائب للخليفة فى حكمها، ولذا كانت إمامة المسلمين خاصة فى صلاة الجمعة فى عاصمة الولاية من أهم وظائفه، ومن ثم أنشئ فى عاصمة كل ولاية مسجد كبير لهذا الغرض سمى فيما بعد بالمسجد الجامع ولذا فرق كثيرون بين اصطلاحى المسجد الجامع والمسجد فقصروا اصطلاح المسجد الجامع على المسجد الكبير الذى يوجد فى عاصمة الخلافة أو الولاية وأطلقوا اصطلاح المسجد على كل مسجد صغير أينما وجد فى مدينة أو قرية والتى كانت تستعمل غالبا لتأدية الصلوات الخمس.

وقد لعبت المساجد الجامعة والمساجد دورا ثقافيا مهما فى حياة المسلمين فى الأيام الخوالى فكانت تلقى فيها الدروس الدينية لتعريف عامة المسلمين بأحكام دينهم بجانب أداء الصلاة وبيان أحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعرض حياتهم من مشكلات أو فيما يستجد فى حياتهم من حوادث ونوازل، ثم تطورت وظيفة المساجد الجامعة أو الجوامع فأصبحت دورا للعلم تعقد فيه حلقات مختلف العلوم الدينية والدنيوية إذ كان يقوم كل من يأنس فى نفسه القدرة على تدريس علم ما احتساباً لوجه الله بالجلوس تحت أحد أعمدة الجامع فى وقت يحدده ولا يخلفه أبدا مادام حيا ويتحلق (يجمع) حوله كل من يرغب فى تعلم هذا العلم وقد ترتب على تركز حلقات

مشاهير العلماء والأئمة فى الجوامع، أن الجوامع أصبحت أعلى دور للعلم أى أصبحت تلعب دور الجامعة حاليا، وأصبحت المساجد تلعب دورا أشبه بدور المدارس الإعدادية والثانوية حاليا.

ومن مظاهر عظمة الإسلام والسلف الصالح من المسلمين التسامح الدينى الذى اتخذ أعظم مظاهره فى السماح لأهل الذمة (المسيحيين واليهود) ومن فى حكمهم المجوس والصائبة بالانضمام لحلقات العلم وكثيرا ما كان طلبة العلم يرتحلون من أقاصى البلاد لأقاصيها الأخرى طلبا للعلم من أحد النوابغ بل وأكثر من هذا نجد أن جوامع الدولة الأموية بالأندلس وشمال إفريقية وجنوب صقلية كان يرتادها أيضا طلبة العلم من مختلف أنحاء أوروبا.

ومن أهم الجوامع التى اتخذت كمعاهد للعلم ما يلى:

١ - جامع عمرو بن العاص (بالفسطاط - سنة ٢١هـ).

٢ - جامع الأزهر (سنة ٣٦٠هـ) الذى يعتبر منذ تخصيصه للأبحاث والدراسات العلمية سنة ٣٧٨ هـ، أقدم جامعة بالعالم الإسلامى بعدما كان مركزا لنشر المذهب الشيعى، وحاليا تطور إلى جامعة دينية عصرية.

٣ - جامع المنصور (ببغداد - بدأ إنشاؤه سنة ١٤٥ هـ).

٤ - الجامع الأموى (بدمشق - بناه الوليد بن عبدالملك).

٥ - الجامع الكبير (بصنعاء - باليمن الشمالية).

٦ - الجامع الكبير (بقرطبة - بالأندلس ١٧٧هـ).

٧ - جامع طليطلة (بالأندلس).

٨ - جامع القرويين (حاليا - بالجزائر).

٩ - جامع فاس (حاليا - بالمملكة المغربية).

١٠ - جامع القيروان (حاليا - بتونس ٤٨هـ)

وكما ذكرنا آنفا أن الحلقات العلمية بالجوامع لم تقتصر على الدراسات الدينية وإن كانت

أهمها بل تعدتها إلى سواها من معارف العصر، وتبين لنا من النصوص المختلفة للعلماء المخضرمين أن من أهم العلوم غير الدينية ما يلى :

١ ـ علم الكلام. ٢ ـ الدراسات اللغوية الأدبية. ٣ ـ الشعر.

٤ ـ العروض. ٥ ـ الطب. ٦ ـ الميقات (الجغرافيا الفلكية).

٧ ـ التاريخ.

ولكن بعد فترة زمنية طويلة انتقل التعليم من الجوامع والمساجد إلى المدارس لعدة أسباب من أهمها ما يلى :

١ ـ صعوبة احتمال الجامع للصلاة والتدريس معا : رغب الناس فى تلقى الدراسات الإسلامية منذ ظهور الإسلام، وكلما مرت السنون ازداد الناس إقبالاً على حلقات العلم حتى حفلت الجوامع ومساجد كثيرة بعدة حلقات دراسية فى آن واحد وكان ينبعث من كل حلقة صوت المدرس يلقى الدرس وأصوات الطلاب يسألون ويناقشون وكانت الأصوات المتصاعدة من الحلقات تتلاقى فتحدث ضجيجا يمنع الصلاة والعبادة من أن تؤدى على وجهها الأكمل لذا قصرت الجوامع والمساجد الكبيرة على الصلاة لأن وظيفتها الأساسية هى أن يصلى فيها الناس ويتعبدوا ولا يجوز أن تعطل الصلاة فيها مهما كانت الأسباب.

٢ ـ صعوبة التدريس لكثرة الحلقات إذ كانت كل حلقة تصدر عنها أصوات ضوضاء تشوشر على باقى الحلقات فلا يسمع صوت المدرس مهما كان مرتفعا أو يسمع بصعوبة أو متقطعا، كما أن هذه الضوضاء تحول دون تركيز انتباه المستمعين فلا يتم التدريس على الوجه الأكمل.

٣ ـ تنافى طبيعة تدريس بعض العلوم مع جلال وهدوء رواد المساجد فنتيجة لتطور العلم بتطور الزمن وتقدم المعارف وجدت مواد تستدعى دراستها كثيرا من الحوار والجدل و المناقشة كعلم الكلام وعلم الجدل والمناظرة ومثل هذه المواد تنافى طبيعة تدريسها مع ما يجب أن يكون عليه رواد المساجد من جلال وهدوء.

٤ ـ حاجة بعض المعلمين لرواتب ثابتة : وجدت جماعة من العلماء شغلوا معظم وقتهم

بالتدريس، وحاولوا الارتزاق بالقيام بحرف بسيطة بجانب التدريس ولكنهم فشلوا فى الحصول على مستوى مناسب من العيش فلم يكن هناك بد من إنشاء المدارس لتضمن لهم الجرايات (الرواتب) تقوم بحاجاتهم المختلفة وتغنيهم عن السؤال أو انتظار هبات المتعلمين.

٥ ـ نشر مذهب أهل السنة: ترتب على انتشار المذهب الشيعى فى مختلف أنحاء الدولة العربية الإسلامية وخاصة فى العصر العباسى الثانى الذى تميز بظهور دولة إسلامية شيعية كالخلافة الفاطمية بمصر وشمال إفريقيا والدول الفارسية المستقلة كالدولة البويهية.

وقد ترتب على انهيار هذه الدول وقيام دولة إسلامية سنية على أنقاضها كدولة الأتراك السلاجقة بشمال العراق والدولة الأيوبية بمصر أن الدول الناشئة عملت على محاربة المذهب الشيعى، والقضاء عليه نهائيا، وأنشئت لهذا الغرض، مدارس عديدة نقلت إليها وظيفة التعليم بدلا من الجوامع والمساجد وهى حرة كانت الأولى من نوعها فى تاريخ الدولة العربية الإسلامية حيث أصبح التعليم العالى يخضع لإشراف وتداخل الدولة فكريا (المناهج) وإداريا (تعيين المدرسين وعزلهم) وماليا (تقديم جرايات للمدرسين والطلبة) ومن مظاهر ذلك أن نظام الملك وزير السلطان السلجوقى أرسلان ومن بعده ابنه السلطان ملك شاه أول من أنشأ المدارس بالدولة العباسية التى سيطر عليها السلاجقة وعرفت بالمدارس النظارة نسبة لمنشئها وهى مدارس غاية فى العظمة والجلال، كما كانت كثيرة العدد جدا حتى إنه وجدت مدرسة بكل مدينة وقرية وهو اتجاه استمر فيما بعد فى ظل إمارات الشاهات والأتابك كالدولة الزنكية التى قامت على أنقاض الدولة السلجوقية، كما اهتم نور الدين بن زنكى بإنشاء المدارس بمدن وقرى مملكته فى سوريا ومصر وفلسطين.

ومنذ حوالى بداية القرن التاسع عشر بدأت حركة تحديث التعليم فى البلاد العربية فأنشئت مدارس أولية أو ابتدائية وأخرى متوسطة وعالية تخضع للإشراف التام للحكومات المحلية وهى حركة اقتصرت على العلوم الدنيوية مما أدى إلى وجود ثنائية التعليم تعليم مدنى (دنيوى) تقدمه المدارس الحكومية المختلفة، وتعليم دينى يقدمه الأزهر ومؤسساته التعليمية وبالتالى فقد الجامع والمسجد دورهما الثقافى المهم باعتبارهما المصدر الوحيد للثقافة والتعليم المتوسط والعالى اقتصر

دورهما على نشر العقائد والقيم الروحية والخلقية وبيان أحكام الشريعة الإسلامية وفقا لأحد مذاهب الأئمة الأربعة الكبار. وظل الأمر كذلك حتى عهد قريب عندما بدأت الجوامع والمساجد فى استرداد مكانتها ومركزها فى المجتمع إذ بدأ بعض المصلحين نتيجة لاتساع مفهومهم عن وظيفة المسجد فى تنوع الأنشطة التى تقوم بها والتى تقدمها وتحت إشراف المسجد.

ومن مظاهر ذلك أنه أقيمت بعدة مساجد ما يلى:

١ ـ مكتبات دينية وثقافية.

٢ ـ ندوات لمحاربة البدع والضلالات.

٣ ـ حلقات للدروس الدينية وإن كانت محدودة الموضوعات.

٤ ـ إنشاء مدارس ابتدائية وإعدادية أزهرية ملحقة بها تحت إشراف الأزهر الشريف.

٥ ـ تنظيم دروس تقوية مجانية أو بأجور رمزية فى مختلف العلوم الدينية والدنيوية للتلاميذ ذوى التحصيل الضعيف.

ومع ذلك فإن المسجد حاليا لا يقوم بدوره الاجتماعى والثقافى كاملا لأسباب عديدة من أهمها نقص الأموال إذ يجب أن تتحقق للمسجد وظائفه التى كان يقوم بها فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، مع مراعاة تغير الظروف والأوضاع خاصة وظيفته كدار للشورى على المستوى المحلى حى أو قرية وكمركز ثقافى تعليمى وبخاصة المشاركة فى برامج محو الأمية وهو ما يتطلب ما يلى مثلا:

١ ـ العناية بحسن إعداد الداعية الإسلامى: (أئمة المساجد والوعاظ) كما وكيفا كما من حيث إعداد المتخرجين وكيفا من حيث تعداد العلوم والمعارف والثقافة العامة الواسعة بما يؤهلهم لتحمل المهام الجسام على كواهلهم مع مراعاة ألا يكون الكم العددى على حساب الكيف النوعى.

٢ ـ توفير الأموال اللازمة لإنشاء المساجد الحديثة: ملحق بها مدارس ومكتبة ثقافية مفتوحة للجميع وقاعة للمحاضرات والندوات.

٣ ـ نشر الوعى الشعبى بأهمية وتعدد وظائف المسجد لإزالة ما علق بأذهان العامة من اقتصار وظيفة المسجد على أنه للعبادة فقط.

٤ ـ وضع خطط طويلة الأجل لتنمية المساجد يجب على الوزارات والهيئات المعنية بهذا الأمر تنظيم وتنسيق وتكامل خططها وجهودها على مستوى الدولة بلا تفرقة بين مكان وآخر بما يحقق عدم تعارضها وزيادة فاعليتها فإذا تحقق ذلك كله وغيره يمكن القول بأن المسجد هو بحق إحدى المؤسسات الاجتماعية التربوية الفعالة النشطة وأنه يقوم بدوره كاملا بما ينبغى أن يكون لا بما هو كائن فعلا.